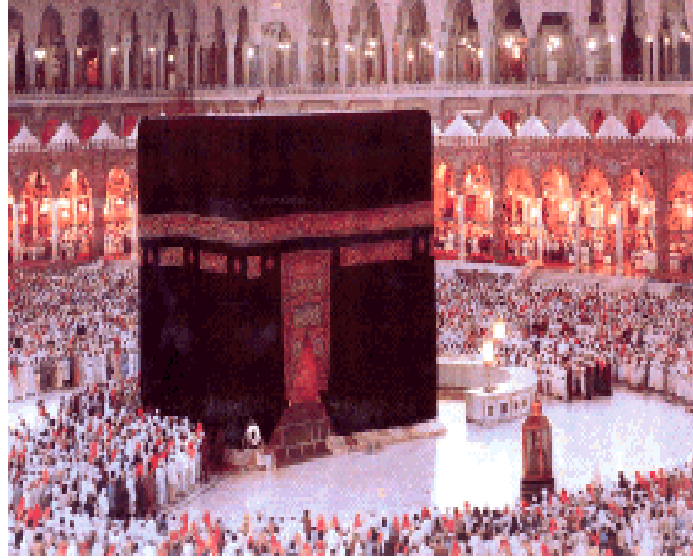


بسم الله الرحمن الرحيم



موجز مبسط عن مسألة خلق أفعال العباد

إعداد : م. عبدالله بن علي صغير

المبحث الأول

١ - مقدمة: إن صحة العقيدة ومنهجيتها الصحيحة بالنسبة للمسلم كالرأس بالنسبة للجسد وكالماء للحياة، فلا تصح أعمال المسلم ولا تقبل إلا إذا كانت عقيدته سليمة وصحيحة، أما إذا كانت عقيدته فاسدة يعثرها البدع والشركيات فإن أعماله سوف تحبط ولا تقبل منه والله أعلم، " فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال، كما قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف/١١٠، {وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الزمر/٦٥، {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} الزمر/٢، ٣.

فدلّت هذه الآيات الكريمة، وما جاء بمعناها، وهو كثير، على أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثمّ كان اهتمام الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل/٣٦.

وكلّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف/٦٥، ٥٩، ٧٣، ٨٥، قالها نوح وهود وصالح وشعيب، وسائر الأنبياء لقومهم وقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين، وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدعون بالدعوة إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.^١

وسوف نتحدث في هذا الموضوع الموجز عن مسألة فرعية تدرج تحت مسألة الإيمان بالقدر، هذه المسألة كانت سبباً في ضلال الكثير وسبباً في ابتعادهم عن منهجية الحق، في فهم هذه المسألة زلت الكثير من الأقلام وضلّت أفهام!، هذه المسألة هي مسألة خلق أفعال العباد .

وستتناول الحديث إن شاء الله عن ماهية تصرفات العبد هل هو مخير أم مسير؟

هل هو مخير ومسير في آن واحد أم لا؟ إن كان العبد مسير فلماذا يحاسبه الله يوم القيامة؟

إن كان الله عزّ وجلّ يكره المعاصي والفواحش فهل العبد عندما يرتكب الفاحشة أو المعصية يفعلها رغماً عن الله - والعياذ بالله - ؟

إن كان العبد مخير فهل يعصي العبد الله رغماً عن الله - والعياذ بالله - ؟

هل الله عزّ وجلّ هو الذي سير العبد من أجل ارتكاب المعاصي؟

¹ كتاب التوحيد ، صالح بن الفوزان.

والكثير من الأسئلة سوف نتناول الرد عليها إن شاء الله في هذا الموضوع المتواضع والمختصر فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي والله ولي التوفيق.
بداية لا بد لنا من معرفة مفهوم العقيدة لغة وشرعاً ولا بد لنا من معرفة أركانها ومصادرها:

١-٢-١ أولاً: تعريف العقيدة :

١-٢-١ - معنى العقيدة لغة:

"**العقيدة في اللغة** : من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشد بقوة، والتماسك، والمراسة، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} المائدة: ٨٩ .

و العقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد وخلاصة ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواء كان حقاً، أم باطلاً^٢. انتهى.

١-٢-٢ - المطلب الثاني: معنى العقيدة اصطلاحاً^٣:

"**و(العقيدة) في الاصطلاح** : هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك .
أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة. وسمي عقيدة؛ لأن الإنسان يعقد عليه قلبه"^٤. انتهى.

١-٢-٣ - المطلب الثالث: تعريف العقيدة الإسلامية:

"**العقيدة الإسلامية**: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

والعقيدة الإسلامية : إذا أطلقت فهي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان"^٥

^٢ الوحيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري - ص ٢٩

^٣ أي وفق المفهوم الشرعي الذي حدد أهل السنة

^٤ الوحيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري - ص ٣٠

^٥ المصدر نفسه.

تعريف آخر مختصر للعقيدة الإسلامية : "هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وتُسمى هذه أركان الإيمان".

والشريعة تنقسم إلى قسمين: اعتقادات وعمليات:

فالاعتقادات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل، مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة، وتُسمى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية، وتسمى فرعية؛ لأنها تبنى على تلك صحة وفساداً^٦ انتهى .

١- ٣- مصادر العقيدة الإسلامية :

"العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثم فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما يتره عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقي العقيدة مقصوراً على الكتاب والسنة، فما دلّ عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به، واعتقدوه وعملوا به، وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نقوه عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد واتحاد المنهج، قال تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران/ ١٠٣ {فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه/ ٢٣. انتهى.

١- ٤- بعض أسباب الانحراف عن العقيدة الإسلامية السليمة:

"الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياح؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة، يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها، من أهمها:

١- الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيل لا يعرف تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً، والباطل حقاً....

٢- التعصب لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقاً؛ كما قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ

⁶ كتاب التوحيد ، صالح بن الفوزان.

آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} البقرة/١٧٠.

٣- التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها،....
٤- الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبل: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} القصص/٧٨..
ولم يتفكروا وينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر وأعطاهُ المقدرة على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} الصافات/٩٦. {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} الأعراف/١٨٥.

٥- أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [أخرجه الشيخان] فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل. ٧"

٦- الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والروايات المكذوبة والمنكرة في تقرير العقيدة الإسلامية ومعرفة أصولها وفروعها.

٧- الابتعاد عن الفهم الصحيح لتفسير القرآن الكريم والفهم الصحيح لتفسير السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

١- ٥- أهمية تعلم علم العقيدة :

إن العقيدة الصحيحة بالنسبة للمسلم كما مر معنا هي بمثابة الرأس بالنسبة للجسد، إن معرفة وحدانية الله والإيمان برسله وكتبه وبقضاء الله وقدره تعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة، "فإن المعلوم من الدين بالضرورة هو أمور الدين وأحكامه التي ينتشر بين المسلمين وجوبها أو تحريمها في الاعتقاد أو العمل كوجوب العمل بأركان الإسلام الخمسة، ووجوب اعتقاد أركان الإيمان الستة، وتحريم الكبائر وإباحة الأطعمة والأشربة، والأعمال والعقود الظاهرة، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص" ٨.

فمعرفة أركان الإسلام ومعرفة أركان الإيمان يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة وإن أركان الإسلام وأركان الإيمان وتعريف الإحسان قد جمعها الحديث النبوي الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

⁷ التوحيد للشيخ صالح بن فوزان بتصرف

⁸ تعريف: المعلوم من الدين ، بالضرورة الفتوى رقم ١٢٤٨٧١ ، ، الفتوى رقم ١٢٤٨٧١ ،

"...عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ . فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ، إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ! قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ». ... " صحيح مسلم

مثلاً يعذر أحد من المسلمين بالجهل بأن يقول لا أعرف أن الزكاة واجبة.

وإنه من الأخطاء الدعوية التي قد يقع بها بعض الدعاة : **الاقتصار على مسائل إسلامية بسيطة ومفاهيم سطحية في تربية الشباب المسلمين وترك مسائل التوحيد والعقيدة**: وهذا العرض يصيب بعض دعاة وعلماء المسلمين فتراه يؤلف الكتب العديدة حول الأذكار والأوراد و التزكيات ولا يؤلف كتباً في مجال التوحيد والعقيدة !! وإذا سألته لماذا لا تناقش أمور العقيدة وتدحض الشبهات المثارة حولها والتي أصبح من الضروري التصدي لها يقول: نحن نشغل الناس بالأذكار والأوراد ولا داعي لأن نناقشهم في أمور العقيدة والتوحيد لأنهم والحمد لله مسلمون ويؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد.

ولكن السؤال الذي نظرحه لهؤلاء الدعاة ماذا لو ترك هذا الإنسان تلك الأذكار والأوراد وراح يناقشه بعض الناس بأمور العقيدة و التوحيد ؟

ماذا لو ناقشه أحد أصحاب البدع وحاول تضليله في عقيدته ؟

النتيجة ستكون بحسب ما نجده من واقع بعض المسلمين بأن عقيدته سوف تهتز، وقد تنهار والعياذ بالله عند أول امتحان فكري أو نقاش عقائدي لأن عقيدته بالأساس غير قوية وفكره غير سليم وإنما ، أصبح جسد بدون عقل، جسد يقوم بالعبادات وينسى التفكير ، هذا من جهة ومن جهة أخرى إن أول ما بدأ به الرسول الأعظم عندما دعا الناس عامة وربى أصحابه خاصة على التوحيد والعقيدة السليمة وكان الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام يوصي أصحابه بالبدء بالعقيدة والتوحيد ثم الانتقال إلى المسائل الفرعية الأخرى.

وإن عقيدة الإسلام والحمد لله يفهمها الطفل والشيخ والعالم والجاهل فهي عقيدة بسيطة تخاطب العقل والقلب بأسلوب فطري بسيط دون تعقيد فالرسول ﷺ يعلمنا ذلك بقوله لعبد الله بن عباس رضي الله عنه - والذي كان طفلاً - : ((يا غلام، إني معلمك كلمات، إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن

ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) رواه احمد والترمذي بسند صحيح .

ففي الحديث السابق نلاحظ كيف رسولنا ومعلمنا الكريم صلى الله عليه وسلم قام بترسيخ العقيدة السليمة في نفس ذلك الطفل والذي أصبح علماً من أعلام الصحابة وهذا الحديث بحسب ما ذكره العديد من رجال العلم بأنه اشتمل على نصف عقيدة المسلم .

والحديث السابق فيه فائدة عظيمة وجلية وهي أن نبداً أولاً ببناء العقيدة في نفوس الناس ولا نقول هذا صغير وهذا غير واع بعد، فعقيدتنا والحمد لله خالية من التعقيد وإن رأينا شخصاً ما يقول بأن عقيدة الإسلام صعبة وتحتاج إلى عقول ناضجة لتدركها ، عندها يجب أن نعلم أن هذا الشخص إما أن يكون جاهلاً لعقيدة الإسلام أو بعيداً عن هدي رسول الله ﷺ".⁹ انتهى

⁹ أعراض وأسباب الضعيف النفسي الذي أصاب غالب المسلمين ، عبدالله بن علي صغير ، موقع صيد الفوائد.

المبحث الثاني

مفهوم القضاء والقدر ومراتبه عند أهل السنة

٢ - توطئة : قد وجدنا أنه من أركان الإيمان :الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من عند الله، ومن المتفق عليه عند المسلمين: أن منكر القضاء والقدر يعتبر كافراً والعياذ بالله - أعاذني الله وإياكم من الكفر وأهله-، وسنتناول في هذا المبحث إن شاء الله مسألة فرعية من مسائل العقيدة، ونقصد بالمسألة الفرعية هي أن الخلاف فيها قد يسوّغ أحياناً، وأن الاختلاف في هذه المسألة قد يجعل بعض الفرق مبتدعين وضالين في هذه المسألة ولا يخرجون عن الملة بسبب الاختلاف في هذه المسألة.... هذه المسألة هي مسألة خلق أفعال العباد: فهل العباد سواء أكانوا عصاة أم مؤمنين هل هم مجبورون بأفعالهم أم أنهم مخيرون ؟ وهل العباد مخيرون بجميع الأفعال أم أنهم مجبورون ببعضها ومخيرون ببعضها ؟ والكثير من التساؤلات سنتناول ذكرها في هذا البحث الموجز إن شاء الله.

إن مسألة خلق أفعال العباد هي من المسائل الخلافية القديمة بين أهل السنة وبين مخالفينهم من الفرق المبتدعة، وفي هذه المسألة تاهت عقول وضلت قلوب والله يهدي من يشاء. إن مسألة خلق أفعال العباد هي مسألة فرعية من مسائل القضاء والقدر وفي هذا المقام لا بد لنا من ذكر مجمل اعتقاد أهل السنة في القضاء والقدر:

بداية يجب أن نعرف القضاء والقدر وفق تعاريف أهل السنة ووفق ضوابطهم الشرعية ونظرهم العقائدية لذلك رأيت من المفيد سرد بعض المعلومات عن القدر :

" ٢ - ١ - معنى القضاء والقدر في اللغة :

القضاء لغة :هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وأما القدر فهو في اللغة : بمعنى التقدير "١٠". انتهى

" ٢ - ٢ - تعريف القضاء والقدر في الشرع :

القَدَرُ: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القَدَمِ، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابتها سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقها لها "١١". انتهى.

" ٢ - ٣ - هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟ : من العلماء من فرق بينهما، ولعل الأقرب أنه لا فرق بين (القضاء) و (القدر) في المعنى فكل منهما يدل على معنى الآخر، ولا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما، وقد وقع الاتفاق على أن أحدهما يصح أن يطلق على

¹⁰ الاسلام سؤال وجواب ، العقيدة ، الإيمان ، الإيمان بالقضاء والقدر، مجمل اعتقاد أهل السنة في القضاء والقدر ، ٢٤-٣-٢٠١٠

م. <http://www.islam-qa.com/ar/cat/227> ، رقم الفتوى : ٤٩٠٠٤

¹¹ المصدر نفسه.

الآخر، مع ملاحظة أن لفظ القدر أكثر وروداً في نصوص الكتاب والسنة التي تدل على وجوب الإيمان بهذا الركن . والله أعلم .^{١٢} . انتهى

"٢-٤ - منزلة الإيمان بالقدر من الدين :

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " رواه مسلم (٨) وقد ورد ذكر القدر في القرآن في قوله تعالى: { إنا كل شيء خلقناه بقدر } القمر/ ٤٩ وقوله تعالى: { وكان أمر الله قدرا مقدورا } الأحزاب/ ٣٨^{١٣} . انتهى

"٢-٥ - مراتب الإيمان بالقدر:

اعلم وفقك الله لرضاه أن الإيمان بالقدر لا يتم حتى تؤمن بهذه المراتب الأربع وهي :

"أ- مرتبة العلم: وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض وأن الله قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون بعلمه القديم وأدلة هذا كثيرة منها قوله تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } الحشر/ ٢٢، وقوله تعالى: { وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } الطلاق/ ١٢^{١٤} . انتهى ، قلت لا خلاف بين جمهور طوائف المسلمين على هذه المرتبة فالكل متفقين والحمد لله على أن الله عز وجل يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن .

"ب- مرتبة الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ، ودليل هذا قوله تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج/ ١٦ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " رواه مسلم (٢٦٥٣)^{١٥} . انتهى .

"ج - مرتبة الإرادة والمشئبة : وهي الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته شيء .

والدليل قوله تعالى: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الكهف/ ٢٣، ٢٤ وقوله تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } التكوين/ ٢٩^{١٦} . انتهى .

قلت وهنا يقع الخلاف العقائدي بين أهل السنة من جهة وبين مخالفينهم من جهة أخرى، وكذلك يقع الخلاف بين المخالفين أنفسهم.

¹² المصدر نفسه

¹³ المصدر نفسه

¹⁴ المصدر نفسه

¹⁵ المصدر نفسه

¹⁶ المصدر نفسه

"د - مرتبة الخلق: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه، لقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الزمر/ ٦٢، وقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} الصافات/ ٩٦ .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يصنع كل صانع وصنعه"^{١٧} قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - : "إن الله كما أنه الذي خلقهم - أي الناس - ، فإنه خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم ؛ ثم هم فعلوا الأفعال المتنوعة: من طاعة ومعصية، بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقها الله (الدرة البهية شرح القصيدة الثائية ص ١٨)"^{١٨} . انتهى

قلت : لا خلاف بين جميع طوائف المسلمين على أن رب العزة خالق جميع المخلوقات وخالق صفاتهم ، و لكن الخلاف بين أهل السنة من جهة وبين مخالفيهم من جهة أخرى وكذلك الحال بين المخالفين أنفسهم يقع في مسألة خلق أفعال العباد ، فالجبرية يعتبرون أن الإنسان مسير وليس مخير ومجبور بأفعاله بقدرة الله وأن الله مسيره كيفما يشاء الله دون أن يكون للإنسان أدنى إرادة، بينما القدرية تقول أن جميع أفعال الإنسان هي نابعة من إرادته وأن مخير مطلقاً ولا دخل لقدرة الله في أفعال الإنسان، والقولان السابقتان منكران وشاذان والقول الحق هو قول أهل السنة أعزهم الله كما سيمر معنا إن شاء الله.

"٢-٦- ومن لوازم صحة الإيمان بالقدر أن تؤمن :

- بأن للعبد مشيئة واختياراً بها تتحقق أفعاله كما قال تعالى: {لن شاء منكم أن يستقيم} التكوير/ ٢٨ وقال: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} البقرة/ ٢٨٦

- وأن مشيئة العبد وقدرته غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته فهو الذي منح العبد ذلك وجعله قادراً على التمييز والاختيار كما قال تعالى: {ما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} التكوير/ ٢٩

- وأن القدر سر الله في خلقه فما بينه لنا علمناه وآمنا به وما غاب عنا سلمنا به وآمنا، وألا ننزع الله في أفعاله وأحكامه بعقولنا القاصرة، وأفهامنا الضعيفة بل نؤمن بعدل الله التام وحكمته البالغة وأنه لا يسأل عما يفعل سبحانه وبحمده"^{١٩} . انتهى

"٢-٧- الإرادة الشرعية والإرادة الكونية:

حتى نفهم مسألة خلق الله لأفعال العباد وحتى نعلم الفرق بين قدرة وإرادة الإنسان ومشيئة ورضى الله عن فعل العبد لا بد لنا من التمييز بين الإرادة الشرعية وبين الإرادة الكونية لله عز وجل "فالإرادة

¹⁷ أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٧ و ٣٥٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٧) .

¹⁸ الاسلام سؤال وجواب ، العقيدة ، الإيمان ، الإيمان بالقضاء والقدر ، مجمل اعتقاد أهل السنة في القضاء والقدر ، ٢٤-٣-٢٠١٠ م .

م . <http://www.islam-qa.com/ar/cat/227> ، رقم الفتوى : ٤٩٠٠٤

¹⁹ المصدر نفسه .

صفة من صفات الله - عز وجل -، وهي نوعان:

(١) إرادة كونية خلقية قدرية.

(٢) إرادة دينية شرعية أمرية.

وهذا تقسيم عند أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي دلت عليه النصوص، الإرادة الكونية الخلقية عامة للمؤمن والكافر، ولا يتخلف مرادها، وكل ما في هذا الكون، وكل ما يكون ويوجد، فإن الله أرادته كوناً وقدرًا من خير وشر، وصحة وعافية، وعز وإذلال، وكفر وإيمان، وفقر وغنى، ومعصية وطاعة، وسعادة وشقاوة، فكل ما يكون في هذا الكون لا يكون إلا بقدرته الله، كما أن كل شيء خلقه الله، قال تعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...)) [الزمر: من الآية ٦٢]، ((...قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...)) [الرعد: من الآية ١٦]، ((وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا...)) [الفرقان: من الآية ٢]، والإرادة الكونية تعم المؤمن والكافر، أما الإرادة الدينية الشرعية فهي خاصة بالمؤمن، وهي ترادف المحبة والرضا. فالإرادة الشرعية فيما أرادته الله ورضيه من أحكام، وتشريع ما شرعه في الكتاب وعلى لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فأمر به ونهى عنه، كقوله: "وأقم الصلاة"، هذا أمر ديني شرعي أمر الله بإقامة الصلاة ديناً وشرعاً، ولكن قد يحصل المراد من الإرادة الشرعية وقد لا يحصل، فمن الناس من أطاع الله واستجاب، وأقام الصلاة، ومن الناس من لم يؤمن ولم يستجب، أما الإرادة الكونية، فإنه لا يتخلف مرادها.

تجتمع الإرادتان في حق المؤمن كأبي بكر - رضي الله عنه -، فإن الله أراد منه الإيمان قدراً وشرعاً. وتتخلف في حق الكافر، فإن الله أراد الإسلام لأبي لهب ديناً وشرعاً، ولم يردده كوناً وقدرًا. من أمثلة الإرادة الكونية: قوله - تعالى - "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ..." [الأنعام: من الآية ١٢٥]، وقال: "...إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ" [المائدة: من الآية ١]، وقال: "...إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [هود: من الآية ٣٤]، والإرادة الكونية مرادفة للمشئة قال - تعالى - "لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" [التكوير: ٢٨-٢٩].

أما الإرادة الشرعية فمن أمثلتها قوله - تعالى - "...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ..." [البقرة: من الآية ١٨٥]، "...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" [الأحزاب: من الآية ٣٣]، "...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ..." [أنفال: من الآية ٦٧]. وأما أهل البدع فإنهم لم يقسموا الإرادة إلى قسمين فضلوا وأضلوا، فالجبرية لم يثبتوا إلا الإرادة الكونية، والمعتزلة أثبتوا الإرادة الدينية الشرعية، ولم يثبتوا الإرادة الكونية فضلوا، وهدى الله أهل السنة والجماعة؛ فأثبتوا الإرادتين عملاً بالنصوص، فكان مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق ووسط بين

مذهبين باطلين الجبرية الذين لا يثبتون إلا الإرادة الكونية، والمعتزلة الذين لا يثبتون إلا الإرادة الدينية الشرعية. والله أعلم.^{٢٠}

ويمكن تلخيص الفرق بين الإرادتين في بالجدول التالي:

الكونية	الشرعية
١ - قد يحبها الله وقد لا يحبها	محبوبة لله
٢ - قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس	مقصودة لذاتها فالله أراد الطاعة وأحبها
٣ - لا بد من وقوعها	لا يلزم وقوعها
٤ - متعلقة برؤية الله وخلقه	متعلقة بوصية الله وشرعه
٥ - أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر	أعم من جهة تعلقها بكل أمور به وأخص من جهة أن الواقع بالإدارة الكونية قد لا يكون مأمور به

.انتهى^{٢١}

²⁰ الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية ، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، موقع الإسلام اليوم ، توحيد الأسماء والصفات ، <http://islamtoday.net/fatawa/queslist-60-890-1.htm> ، تاريخ الفتوى ١٧-١٠-٢٠٠٤.

²¹ الإيمان بالقضاء والقدر للحمد ص ٩٠ ، خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير.

المبحث الثالث

٣ - مسألة خلق أفعال العباد

٣-١ - الفرق المثبتة لخلق أفعال العباد :

إن معظم فرق المسلمين ترى أن الله خالق لكل شيء ومن ذلك أفعال العباد، ولكن نظرهم للقدر قد تختلف.

والآن سوف نذكر الفرق القائلة بخلق أفعال العباد وسوف نعرض على بعض الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذا القول الذي هو قول الحق في هذه المسألة.

٣-١-١ - "قول الجبرية الخالصة:"

وأهم فرقها هم **الجهمية**: القائلون أن أفعال العباد مخلوقة والإنسان ليس إلا كالريشة في مهب الريح ليس له قدرة ولا اختيار وهذا هو الجبر المحض والذي أنكره سائر الطوائف^{٢٢}.

٣-١-٢ - **الجبرية المتوسطة**: الأشاعرة و الماتريدية وهؤلاء كلهم يقولون إن الله خالق أفعال العباد لكن الإشكال في قولهم هو مدى تعلق أفعال العباد بالعباد، وهل هم فاعلون لها على الحقيقة؟ فجمهور الأشاعرة: في هذه المسألة يقولون بالكسب وهو كما يعرفونه ما يقع به المقدر من غير صحة انفراد القادر به، فأفعال العباد ليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً من غير أن يكون منه تأثير ومدخل .

هذا الكلام هو ما حمل البعض على تصنيف المذهب الأشعري أنه مذهب جبري^{٢٣}.

٣-١-٣ - **أما الماتريدية** : فتميزوا بإثبات إرادة جزئية غير مخلوقة وأمرها بأيديهم والله لا يخلق فعل العبد إلا بعد أن يريده العبد ويختاره وقولهم هذا قريحهم من المعتزلة^{٢٤}. انتهى^{٢٥}، قلت وهذا القول أقرب أقوال الفرق السابقة إلى قول أهل السنة كما سيمر معنا ، مع اختلاف جوهرى هام هو أن أهل السنة يثبتون إرادة مطلقة للفرد وهذه الإرادة مخلوقة بينما الماتريدية يثبتون أن للفرد إرادة جزئية وهذه الإرادة أيضاً مخلوقة.

٣-١-٤ - **أهل السنة والجماعة**: القائلون بالمراتب الأربع للقدر وأن "للعباد قدرة على أعمالهم

^{٢٢} الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩٩، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٣٤٣/١، القضاء والقدر في الإسلام لفاروق دسوقي ٨٠/٢.

^{٢٣} أنظر أفعال العباد في القرآن الكريم لعب العزيز المجدوب ص ١٠٨. والقضاء والقدر للمحمود ص ٣٠٨. والآمدي وآراءه الكلامية ص ٤٧٤.

^{٢٤} الماتريدية لأحمد الحربي ص ٤٣٨ .

^{٢٥} أنظر خلق أفعال العباد ، خالد محمد عبد الله الشنير ، كتاب إلكتروني منشور في موقعه الرسمي وهو متوفر في هذا الرابط

٢٠٠٧-١١-١٩ ، <http://faculty.ksu.edu.sa/shunyber/DocLib2/Forms/AllItems.aspx>

والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم^{٢٦} ويقول ابن القيم رحمه الله والصواب أن يقال تقع الحركة بقدرة العبد وإرادته التي جعلها الله فيه، فالله تعالى إذا أراد فعل العبد خلق له القدرة والدواعي إلى فعله فيضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة السبب إلى مسببه، ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق^{٢٧، ٢٨}. انتهى

قلت: إنه من البديهي أن يكون الله عز وجل خالق أفعال العباد ولا يقع أي فعل للعبد إلا بأمر الله وقدرته والله قادر على منع فعل العبد سواء أكان طاعة أم معصية، وقد صدق أحد الدعاة عندما قال: إن عقيدة أهل السنة سهلة بسيطة وإن كلام من خالفهم هو المعقد.

٣-١-٤-١ - الأدلة التي استدل القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة :

"لكن مما ينبغي التنبيه إليه أن هؤلاء الفرق في فهمهم لهذه الأدلة ليسوا على حد سواء فالجبري يستدل بها والأشعري يستدل بها والسني يستدل بها ولكن يختلف الفهم لهذه الأدلة^{٢٩}. انتهى ، والفهم الصحيح للأدلة القرآنية هو ما اعتمد على تفسير السنة النبوية الصحيحة لهذه الأدلة وعلى فهم الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وهذه هي منهجية أهل السنة في فهم النصوص لذلك ولله الحمد تعتبر عقيدة أهل السنة عقيدة محكمة وأصيلة مستندة على قاعدة عقائدية صحيحة هذه القاعدة أساسها القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وما ضلّت الفرق وانحرفت إلا عندما تركت الفهم الصحيح للسنة النبوية وتركت أقوال وأفعال السلف الصالح واعتمدت على شبهات وأقوال الخلف الطالح، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام والحمد لله الذي جعلنا من أتباع سنة المصطفى ﷺ والحمد لله الذي جعلنا محبين ومتبعين لآل البيت والصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. والآن لنذكر بعضاً من هذه الأدلة:

أ- من القرآن الكريم :

١ - "قول الله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فالآية دالة على أن الله هو الذي خلق هذا الفعل .

٢ - (والله خلقكم وما تعملون) فهو سبحانه خالقهم وخالق أعمالهم .

٣ - (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) النحل ٩٣

٤ - (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم) التوبة ١١٥

²⁶ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ضمن مجموعة الفتاوى ١٥٠/٣) وانظر شرح الواسطية لابن عثيمين

²⁷ شفاء العليل ص ١٤٦ .

²⁸ انظر خلق أفعال العباد ، خالد محمد عبد الله الشنير ، كتاب إلكتروني منشور في موقعه الرسمي وهو متوفر في هذا الرابط

²⁹ خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير <http://faculty.ksu.edu.sa/shunyber/DocLib2/Forms/AllItems.aspx> ، ١٩-١١-٢٠٠٧ .

²⁹ خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير

٥ - (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) الإنسان ٣٠ .

٦ - (فلا تجعلوا لله أنداداً) نقل ابن حجر عن الكرماني " المراد بيان كون أفعال العباد بخلق الله تعالى إذا لو كانت أفعالهم بخلقهم لكانوا أنداداً لله وشركاء له في الخلق " .

٧ - قول إبراهيم عليه السلام (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) إبراهيم ٤٠

٨ - (وما بكم من نعمة فمن الله) النحل ٥٢

٩ - (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) الحجرات ١٧

ب- من السنة النبوية الصحيحة:

١ - " عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يصنع كل صانع وصنعه) فتح الباري ١٣/٤٩١ .

٢ - عن طاووس قال : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر وسمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) رواه مسلم في الصحيح ٤/٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٥ .

٣ - جاء في حديث الاستخارة (وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير) رواه البخاري في صحيحه ١/٣٩١ رقم ١١٠٩ ، قال الحافظ ابن حجر: وفيه دليل لأهل السنة أن الشر من تقدير الله على العبد لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه^{٣٠} .

٤ - حديث احتجاج آدم وموسى المشهور^{٣١} قال الحافظ: وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد^{٣٢} .

٥ - قول حذيفة: لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم ثم تابوا فتاب الله عليهم^{٣٣} . قال الحافظ " ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كلٌ يخلق الله^{٣٤} " . انتهى، أي أن الله يخلق جميع أفعال العباد سواء أكان طاعة أم معصية وسواء أكان كفر أم إيمان^{٣٥} .

³⁰ فتح الباري ١١ / ١٨٦

³¹ رواه البخاري ٦ / ٢٧٣٠ رقم ٧٠٧٧

³² فتح الباري ١١ / ٥١٢

³³ رواه البخاري ٤ / ١٦٨٠ رقم ٤٣٢٦ .

³⁴ فتح الباري ٨ / ٢٦٧

³⁵ انظر خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير

ج- الأدلة العقلية :

١ - "إذا كان الله خالق كل شيء وهو خالق العباد جميعاً باتفاق فما الذي أخرج أعمال العباد من هذا العموم؟" انتهى، إذا من البديهي أن يكون الله عز وجل خالق كل أفعال العباد، وإن المنكرون لخلق الله لأفعال العباد لم يميزوا بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية لله عز وجل فضلوا وأضلوا ، لذلك من الضروري التمييز بين الإرادتين السابقتين لكي نؤمن تماماً يقيناً أن الله خالق أفعال العباد.

٢ - لو قلنا أن أفعال العباد غير مخلوقة لله للزم من ذلك محذور عظيم ألا وهو وقوع بعض الأفعال رغماً عن الله سبحانه ! والله لا مكره له ، وهذا الكلام يلزم منه إثبات العجز على الله .^{٣٦} انتهى، لذلك يعتبر القول أن أفعال العباد غير مخلوقة قول فاسد وقول ضارب في العقيدة وله آثاراً سلبية علة شخصية المسلم وعلى إيمانه.

٣- ٢ - القائلون بعدم خلق الله لأفعال العباد:

"يعتبر القدرية هم رأس من قال بهذا القول فأما القدرية الأولى والذين كفرهم السلف فقد أنكروا مراتب القدر الأربعة وهؤلاء ليس لهم وجود، بل انقضوا، ثم جاءت القدرية الثانية وهي المعتزلة فأثبتوا العلم والكتابة وأنكروا المشيئة والخلق ومن الخلق خلق أفعال العباد فقالوا بأن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه وليس الله سبحانه هو الذي يخلق هذه الأفعال"^{٣٨}

يقول القاضي عبد الجبار في معرض كلامه عن خلق أفعال العباد: "..... والغرض به في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها"^{٣٩} .

ويقول الأشعري عنهم: "أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر ولا المعاصي ولا شيئاً من أفعال غيره إلا رجلاً منهم فإنه زعم أن الله خلقها بأن خلق أسماءها وأحكامها حكى ذلك عن صالح قبة"^{٤٠} "٤١". انتهى

٣- ٢- ١ - المبحث الثاني: الأدلة:

"استدل القدرية من معتزلة... وغيرهم بعدة أدلة عقلية ونقلية والذي ينظر إلى الأدلة التي استدلو بها يجد أن هؤلاء القوم قد أخذوا ببعض الكتاب وتركوا بعضه الآخر، فهم عندما اعتقدوا بعقولهم

³⁶ المصدر السابق

³⁷ انظر خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير

³⁸ انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ص ٣٠٢ المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص ١٧١ ، خلق أفعال العباد لخالد محمد

عبد الله الشنير

³⁹ شرح الأصول الخمسة ص ٣٢٣

⁴⁰ مقالات الإسلاميين ص ٢٢٧

⁴¹ خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير

استحالة خلق الله للشر أخذوا يبحثون عن ما يوافقهم في هذا الفهم من القرآن الكريم وتركوا الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على خلق الله لأفعال العباد،^{٢٨} انتهى، قلت سبب انحراف هذه الفرق عن الحق هو التفسير الأجوف للقرآن الكريم والابتعاد عن السنة النبوية الصحيحة فلا تفسير صحيح للقرآن دون الاعتماد على السنة النبوية، ولا فهم عميق للقرآن الكريم دون التمسك بفهم الصحابة والتابعين لآيات ونصوص القرآن، وإنه من المحرمات أشد التحريم عند أهل السنة تفسير القرآن الكريم بالهوى أو بالاعتماد على اللغة العربية فقط دون الرجوع إلى السنة النبوية لمعرفة ناسخ القرآن ومنسوخه وعامه وخاصه، لذلك من أراد النجاة فعليه التمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وعليه تتبع آثار آل بيت محمد ﷺ وآثار أصحاب محمد رضي الله عنهم، وفي هذا السياق وللفادة أحب أن أذكر بعض الأدلة التي تحذر من عدم تفسير القرآن الكريم بالهوى وعدم القول في تفسير القرآن الكريم إلا من جهة العلم يقول الله تعالى { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } آل عمران ٧.

والرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغيرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ويقول أيضاً، «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن. و الآن نعود لنوجز الكلام عن الأدلة الواهية التي اعتمد عليها القائلون أن الله لا يخلق أفعال العباد:

٣- ٢- ١- ١- الأدلة النقلية التي استند عليها المنكرون خلق الله لأفعال العباد :

١- "الآيات الدالة على مدح المؤمن على إيمانه وذم الكافر على كفره كقوله تعالى: (إن إبراهيم لأواه حلیم) هود ٧٥ .

٢- الآيات الدالة على المجازاة على الأفعال، قال تعالى: (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) الجاثية ٢٨.

٣- الآيات الدالة على أن أفعال العباد مسندة إليهم وصادرة عنهم، قال تعالى: (بل سئلت لكم أنفسكم أمراً) يوسف ١٨ .

٤- إن الله نزه نفسه عن الظلم، قال تعالى (لا ظلم اليوم) غافر ١٧ .

٥- إن الله سبحانه ذم عباده على الكفر والمعاصي، قال تعالى (كيف تكفرون بالله) البقرة ٢٨ . ويقبح منه أن يخلق الكفر في الكافر ويوبخه .

⁴² انظر المصدر السابق

٦ - الآيات الدالة على الإنكار، قال تعالى: (لم تلبسوا الحق بالباطل) آل عمران ٧١.
 ٧ - الآيات الدالة على أن الله خير العباد في أفعالهم وجعلها معلقة بمشيئتهم، قال تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف ٢٩.

٨ - الآيات الدالة على إنكار من نفى المشيئة عن نفسه وأضافها إلى الله ، قال تعالى : (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) الأنعام ١٤٨ .^{٤٣} انتهى.

قلت الاستدلال بهذه الأدلة يعتبر من أغرب أنواع الجهل لأن الله عز وجل عندما يمتدح إيمان المؤمن ويثني الله على العمل الصالح هذا يتوافق مع الإرادة الشرعية لله عز وجل، ولا يتعارض مع كون أن رب العزة قد خلق فعل الإيمان وخلق العمل الصالح، وكذلك أيضاً عندما يذم الله فعل الكافر ويذم الأفعال القبيحة فإن هذا الذم ليس معناه أن الكافر يعصي الله رغماً عن الله والعياذ بالله، بل إن كفر الكافر وأفعال الكافر تتوافق مع الإرادة الكونية لله عز وجل، لذلك التمييز الصحيح بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية لله عز وجل هو المفتاح الحقيقي في فهم حقيقة مسألة خلق أفعال العباد.

٣- ٢- ١- ٢- الأدلة العقلية التي اعتمد عليها المنكرون لخلق الله لأفعال العباد:

١- "إننا نعلم بالضرورة فرقاً بين حركاتنا الاختيارية والاضطرارية وحركة الجماد ونعلم بالضرورة قدرتنا على الحركة الأولى كحركاتنا يمينة ويسرة وعجزنا عن الثانية كحركاتنا إلى السماء وحركة الواقع من شاطئ وانتفاء قدرة الجماد.

ومن أسند الأفعال إلى الله تعالى ينفي الفرق بينها ويحكم بنفي ما قضت الضرورة بثبوته.

٢ - لو كانت الأفعال كلها منسوبة إلى الله لم يعد عندنا فرق بين من أحسن إلينا غاية الإحسان وبين من أساء إلينا غاية الإساءة طول عمره وكان يقبح من شكر الأول وذم الثاني لأن الفعلين صادرين عن الله لا عن الفاعلين .

ولما علمنا بطلان ذلك وأنه يحسن منا مدح الأول وذم الثاني علمنا بأن العلم بإسناد الأفعال إلينا قطعي لا يقبل الشك .

٣ - لو كانت الأفعال صادرة عن الله قبح منه أن يأمرنا وينهانا ويكلفنا.

٤ - أنه يلزم منه أن يكون الكافر مطيعاً لله تعالى بكفره، لأنه قد فعل ما هو مراد الله^{٤٤}^{٤٥}. انتهى
 قلت هذه الأدلة العقلية كما سماها أولئك المبتدعون غير مقنعة ومضحكة أيضاً، وتدل على مدى الجهل والضلال الفكري والبعد عن المنطق السليم الذي يعاني منه أولئك المبتدعة، لأنهم بقولهم السابق

⁴³ خلق أفعال العباد لخالد محمد عبدالله الشنير.

⁴⁴ انظر أيضاً في أدلة القدرية شرح الأصول الخمسة ص ٣٥٥ ، المعتزلة وأصولهم الخمسة للمعتق ص ١٧١ ، قضية الثواب والعقاب

بين مدارس الإسلاميين بياناً وتأصيلاً د/ جابر الزايد السميري ص ٢٨٩ وما بعد ، القضاء والقدر للمحمود ص ٣٣٥ وما بعدها

⁴⁵ خلق أفعال العباد لخالد محمد عبدالله الشنير

كأنهم يقولون بلسان حالهم أن الله عاجز عن منع أفعال المسيئين و العصاة، وأن الإنسان يملك مطلق الحرية بأفعاله دون أن يكون لله عزّ وجلّ القدرة على ضبط هذه الأفعال وبذلك يصفون الله بالعجز والعياذ بالله، وأولئك المبتدعة لم يميزوا بين الإرادة الشرعية لله التي بها يجب طاعة المؤمن ويكره معصية الكافر وبين الإرادة الكونية التي بها يمكن للعاصي أن يعصي الله رغم أن الله يكره ذلك ولكن لا تحدث تلك المعصية إلا بمطلق حرية الكافر وإرادة الله عزّ وجلّ وليس المقصود بالإرادة الحب والموافقة، ولكن المقصود بإرادة الله لفعل الكافر للمعصية هي أن الكافر لا يعصي الله رغماً عن الله جلّ وعلا.

ومن خلال الأدلة السابقة نجد أن القائلين بأن أفعال العباد غير مخلوقة قد تمسكوا ببعض النصوص القرآنية وتركوا القسم الآخر، تمسكوا بظاهر بعض الآيات وكفروا بظاهر وباطن الآيات الأخرى فضلوا وأضلوا.

٣-٣ - عقيدة أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد هي التوسط بين الجبرية والقدرية

إن الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية أدى إلى ضلال عدّة فرق منها الجبرية: الذي يعتبرون أن الإنسان مسير من قبل الله عزّ وجلّ، وينفون بالطلاق أن للعبد إرادة في اختيار أفعاله، بعكس القدرية الذي آمنوا بمراتب القدر إلا أنهم نفوا أن يكون الله عزّ وجلّ خالق أفعال العباد ويقول الأستاذ خالد محمد عبد الله الشنير في كتابه خلق أفعال العباد نقلاً عن ابن القيم رحمه الله: "وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب وبعضهم أقرب إلى الخطأ وأدلة كل منهم وحجته إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه .

فكل دليل صحيح للجبرية إنما يثبت قدرة الرب تعالى ومشيتته، وإنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وأما فعل له لا لله، وأما قائمة به لا بالله .

وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيتتهم وإرادتهم، وإلهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادراً على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين"٤٦ .

وباختصار يقال: الإنسان عندما يريد العمل فلا بد أن يكون عنده إرادة للعمل وقدرة عليه والذي خلق الإرادة والقدرة هو الله .٤٧ . انتهى.

46 شفاء العليل ص ٥١

47 انظر خلق أفعال العباد لخالد محمد عبد الله الشنير.

النتائج

- أ- إن أهل السنة من سلفهم إلى خلفهم يثبتون المراتب الأربعة للقدر (العلم - الكتابة - المشيئة - القدرة) ويؤمنون بها والمجمع عليه عند أهل السنة الإيمان بمراتب القدر الأربعة وما شذ عن قولهم إلا شاذ.
- ب- إن عدم الإيمان بأن الله خالق لأفعال العباد يعتبر من البدعات المنكرة التي لم يعرفها الصحابة الكرام ولا التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
- ت- إن عدم الإيمان بأن الله خالق لأفعال العباد يفضي إلى وصف الله عز وجل بالعجز والسنقص والعياذ بالله، فالله خالق كل شيء فكيف لا يقدر على خلق أفعال عباده؟.
- ث- إن إقرارنا بأن الله عز وجل ليس خالقاً للمعاصي وكفر الكافر هذا يفضي أن هذه الأفعال تقع رغماً عن الله والعياذ بالله وهذا عين الضلال فالله خالق كل شيء وليس خلق الله للمعاصي معنى ذلك أن الله راضٍ عن ارتكابها بل هذا يدخل ضمن الإرادة الكونية لله عز وجل.
- ج- إن سبب ضلال بعض الفرق المخالفة بالعقيدة لعقيدة أهل السنة هو ابتعادها عن السنة النبوية الصحيحة وتفسيرها للقرآن الكريم تفسير أجوف مبتعدة بذلك عن التفسير الأصولي الذي توارثه أبناء أهل السنة عن الرسول الكريم ﷺ وعن آل بيته وأصحابه.
- ح- إن جميع أهل السنة من سلفهم إلى خلفهم والحمد لله مقررون بأن الله خالق أفعال العباد وما شذ عن ذلك إلا شاذ أو مبتدع أو متبع للهوى.
- خ- إن مذهب أهل السنة هو التوسط بين القدرية الذي ينفون مشيئة الله لأفعال العباد ويفنون أن يكون الله عز وجل خالق أفعال العباد ويعتبرون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، وبمعكس الجبرية الذين ينفون الإرادة عند العبد ويعتبرون أن العبد مجبور بكل أفعاله لا وإرادة له مطلقاً، بينما أهل السنة أصحاب العقيدة الراسخة الأصيلة فإنهم يثبتون خلق الله لأفعال العباد ويقررون بحرية العبد لاختيار أفعاله دون جبر من الله بل للعبد إرادة وحرية في اختيار أفعاله وهذا القسم يحاسب عليه العبد بينما الأفعال المحرر عليها العبد كيوم ولد ويوم يموت ولونه وشكله وما شابه فهذه الأفعال محرر عليه الإنسان لذلك لا يحاسب عليها الإنسان.
- د- إن عقيدة أهل السنة هي العقيدة الحق وهي العقيدة السليمة إن شاء الله لأنها مستندة على القرآن نصاً وتفسيراً وعلى السنة النبوية الصحيحة ظاهراً ودرايةً وعلى فهم الصحابة للنصوص الشرعية.

والحمد لله رب العالمين وصلّ اللهم على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وارض اللهم عن

الأَنْصار والمهاجرين وعلى متبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم بحول الله وقوته بتاريخ ٢٢/ربيع الأول/١٤٣٢ هـ الموافق ٢٥/٢/٢٠١١ م

المصادر بحسب ورودها في النص:

- (١) كتاب التوحيد ، صالح بن الفوزان.
- (٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح ، عبد الحميد الأثري
- (٣) تعريف: المعلوم من الدين ، بالضرورة الفتوى رقم ١٢٤٨٧١ ، ١٦-٧-٢٠٠٩ -
<http://www.islamweb.net/ver2/fatwa/FatwaCategory.php?lang=A&CatId=982>
- (٤) أعراض وأسباب الضعيف النفسي ، عبدالله بن علي صغير ، موقع صيد الفوائد.
- (٥) الإسلام سؤال وجواب ، العقيدة ، الإيمان ، الإيمان بالقضاء والقدر، مجمل اعتقاد أهل السنة في القضاء والقدر ، ٢٤-٣-٢٠١٠ م. <http://www.islam-qa.com/ar/cat/227> ، رقم الفتوى : ٤٩٠٠٤
- (٦) الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية ، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، موقع الإسلام اليوم ، توحيد الأسماء والصفات ،
<http://islamtoday.net/fatawa/queslist-60-890-1.htm> ، تاريخ الفتوى ١٧-١٠-٢٠٠٤ .
- (٧) الإيمان بالقضاء والقدر ، محمد الحمد ، ابن خزيمة ، الرياض ، الثالثة ١٤١٩ .
- (٨) الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الثانية ١٩٧٧ .
- (٩) نشأة الفكر الفلسفي الإسلام ، علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، الثامنة
- (١٠) القضاء والقدر في الإسلام ، فاروق دسوقي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، بدون طبعة
- (١١) أفعال العباد في القرآن ، عبد العزيز المحذوب ، الدار العربية للكتاب ، بدون طبعة
- (١٢) الامدي وآراؤه الكلامية ، حسن الشافعي ، السلام ، القاهرة ، الأولى ١٩٩٨ .
- (١٣) الماتريدي ، للحري ، العاصمة ، الرياض ، الأولى .
- (١٤) انظر خلق أفعال العباد ، خالد محمد عبدالله الشنير ، كتاب إلكتروني منشور في موقعه الرسمي وهو متوفر في هذا الرابط
<http://faculty.ksu.edu.sa/shunyber/DocLib2/Forms/AllItems.aspx> ، ١٩-١١-٢٠٠٧ .
- (١٥) العقيدة الواسطية، (ضمن الفتاوى) ، ابن تيمية، جمع :ابن قاسم، مجمع الملك فهد ،المدينة ١٩٩٥-١٤١٦،
- (١٦) شفاء العليل ،أبن القيم ،تحقيق محمد بدر الدين النعساني ،دار الفكر ،بيروت ،١٣٩٨-
- (١٧) فتح الباري ،ابن حجر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،المعرفة ،١٣٧٩
- (١٨) لوامع الأنوار البهية ،السفاريني ،المكتب الإسلامي ،بيروت ،الثالثة ١٤١١
- (١٩) شرح الأصول الخمسة ،القاضي عبد الجبار ، تحقيق د- عبد الكريم عثمان ،مكتبة وهبه ،مصر ،الأولى ١٩٦٥- ١٣٨٤ .

- ٢٠) مقالات الإسلاميين للأشعري هلموت ريتز . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الثالثة
- ٢١) المعتزلة وأصولهم الخمسة ، عواد المعتق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الثالثة ١٤٠٧ .
- ٢٢) قضية الثواب والعقاب بين مدارس الإسلاميين، جابر زايد السميوي،الدار السودانية للكتب،الأولى ١٤١٦-١٩٩٥

كتب الحديث الشريف

- ١- صحيح بخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ،دار إحياء التراث العربي .
- ٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٣- سنن الترمذي ، الترمذي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٤- مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ، دار إحياء التراث العربي.
- ٥- سنن الترمذي ، الترمذي، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	المبحث الأول
٢	مقدمة :
٣	تعريف العقيدة :
٤	مصادر العقيدة الإسلامية :
٤	بعض أسباب الانحراف عن العقيدة الإسلامية السليمة:
٥	أهمية تعلم علم العقيدة
٨	المبحث الثاني :
٨	مفهوم القضاء والقدر ومراتبه عند أهل السنة
٨	توطئة:
٨	معنى القضاء والقدر في اللغة :
٨	تعريف القضاء والقدر في الشرع :
٨	هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟ :
٩	مترلة الإيمان بالقدر من الدين :
٩	مراتب الإيمان بالقدر:
١٠	ومن لوازم صحة الإيمان بالقدر أن تؤمن :
١٠	الإرادة الشرعية والإرادة الكونية:
١٣	المبحث الثالث
	مسألة خلق أفعال العباد
١٣	الفرق المثبتة لخلق أفعال العباد :
١٤	- الأدلة التي استدلل القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة:
١٤	أ- من القرآن الكريم :
١٥	ب- من السنة النبوية الصحيحة:
١٦	ج - الأدلة العقلية :
١٦	القائلون بعدم خلق الله لأفعال العباد
١٧	الأدلة النقلية التي استند عليها المنكرون خلق الله لأفعال العباد :
١٨	الأدلة العقلية التي اعتمد عليها المنكرون خلق الله لأفعال العباد:
١٩	عقيدة أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد هي التوسط بين الجبرية والقدرية
٢٠	النتائج
٢١	المصادر
٢٣	فهرس الموضوعات